الوقفة السادسة

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾

مع قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ (القصص).

هذه الآية الكريمة يمكن أن تكون إلحاقًا أو استكمالاً للوقفة السابقة مع الآية (٢٣) من نفس السورة. وكأنها جاءت استكمالاً لهذه القضية الحيوية. قضية عمل المرأة حيث تطرَّقت لقضية أخرى من قضايا الأمة، سنبيِّنُها من خلال هذه الوقفة التأملية الجديدة ، وبالله العون والتوفيق.

❁ بين يدي الحدث:

بعد أن انصرفت بنتا شعيب بأغنامهما إلى مراعيهما، وقصَّتا على أبيهما ما كان من شهامة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومساعدته لهما في سَقي الأغنام، فكأنه سرَّه ما فعله موسى مع ابنتيه، وأُعْجِب بشخصيته ورجولته، فأرسل إحدى بناته لاستدعائه إلى البيت لمجازاته على معروفه، فجاء موسى إليه، وعرَّفه بنفسه، وقصَّ عليه ما كان من أمره في مصر، وما دعاه للخروج منها فرارًا

ونجاةً. فأمَّنَهُ شعيب، وطَمْأَنَهُ. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ (القصص).

❁ فتاة عاقلة:

وهنا. أحسَّت ابنتا شعيب بحاجتهما إلى من يحمل هذا العبء عنهما، ويتولى هذه المهمة الشاقة بدلاً منهما، ويكون أجيرًا عندهم في مُهِمَّةِ رعي الغنم والقيام بشئونهم، فتقدمت إحداهما وهي التي ذهبت لاستدعاء موسى إلى أبيها، وطلبت من أبيها هذا الطلب، كما جاء في هذه الآية:

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾

فما أَجَلَّ ما طلبَتْ!! وما أصدقَ ما وصفَتْ! وما أبلغَ ما قالت وعبَّرَتْ!!

❁ قانون عمل للبشرية:

لقد نطقت هذه الفتاة المؤمنة الحَيِّيَةُ الكريمة بهذه العبارة الموجَزة، وهي لا تدري أنها أصدرت للبشرية قانونًا فيه صلاحها، وصلاح أمرها إلى يوم القيامة!!

لقد قالت هذه الفتاة البسيطة هذه الكلمات المعدودة، وهي لا تعلم أنها قد خلَّفت من ورائها كنزًا من العلم لو

تُرجم في واقع حياة الأمة لأثمر خيرًا، ولَحقَّق نجاحًا في جميع مناحي الحياة.

لقد حدَّدت الفتاة في هذه العبارة الموجزة قانونًا للعمل، ما أحوجَ الأمةَ إليه الآن، لتستقيم أمورها، وينصلح حالها. فترتقى وتتقدم. وتخرج من صعاب ومعوِّقات وأزمات لا حصر لها. إنه قانون: **(الرجل المناسب في المكان المناسب)**.

هذا القانون الذي ينادي به العقلاء من العلماء والمسئولين ورجال المال والأعمال لتُحَلَّ به كلَّ مشاكل العمل في العصر الحاضر. وقد تم إصدار هذا القانون منذ آلاف السنين في هذه الآية الكريمة من كلام رب العالمين على لسان تلك الفتاة المؤمنة.

❁ صفات العامل الناجح:

لقد حدَّدت الآية الكريمة صفتين أو شرطين للرجل إذا تم تكليفه بعمل ما، سواء كان عملاً في مؤسسة حكومية، أو غير حكومية.

هاتان الصفتان هما: القوة والأمانة، كما صرَّحت الآية: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾.

✓ **الشرط الأول: القوة:**

ولكن. ماذا تعني القوة هنا؟ أهي قوة البدن؟ أم قوة العقل؟ أم الإثنين معا؟ أم ماذا؟ فكلمة ﴿ٱلْقَوِيُّ﴾ في الآية لم تحدِّد نوع القوة، وإنما جعلتها مطلقة؟

القوة.. الكفاءة:

إذا عُدنا إلى أحداث القصة التي وردت الآية بشأنها نجد أن القوة هنا تعود إلى القوة البدنية، حيث إن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قام برفع الصخرة الثقيلة التي لا يقدر على رفعها إلا عشرة رجال.

وقد ذكر ابن كثير: أن شعيبًا والد الفتاة. « لَمَّا قَالَتْ لَهُ ابْنَتُهُ: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾. قَالَ لَهَا أَبُوهَا: وَمَا عِلْمُكِ بِذَلِكَ؟ قَالَتْ له: إِنَّهُ رَفَعَ الصَّخْرَةَ الَّتِي لا يَطِيقُ حَمْلَهَا إلا عَشَرَةُ رِجالٍ، وإني لَمَّا جِئْتُ مَعَهُ تَقَدَّمْتُ أَمَامَهُ فَقَالَ لِي: كُوني من ورائي، فإذا اختلفت علي الطَّرِيقَ فَاحْذِفِي لِي بِحَصَاةٍ أَعْلَمُ بِهَا كَيْفَ الطريق لأهتدي إليه»[1]. فهذه هي القوة المقصودة في هذا الموقف، فعندما نتأمل الموقف نجد أن العمل الذي قام به موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عمل يستدعي قوة بدنية بالطبع. لكن هذه الكلمة ﴿ٱلْقَوِيُّ﴾ خرجت مخرج الإطلاق،

(١) تفسير ابن كثير (٢٠٦/٦).

فلم تذكر الفتاة قوة البدن لفظًا وإن كانت تعنيها مقصدًا، ليبقى هذا اللفظ على إطلاقه، فيمكن بعد ذلك أن ينسحب على أي نوع من أنواع القوة. فإذا كان العمل الذي نريده عملاً ذهنيًّا عقليًّا احتجنا إلى رجلٍ قوي الذاكرة. قوي العقل. حاضر الذهن. سريع البديهة، وإذا كان العمل المطلوب إنجازه عملاً يحتاج إلى شجاعة وجرأة اخترنا له رجلاً قويَّ الشخصية، شجاعًا جريئًا، ليس ضعيف الهمة ولا جبانًا... وهكذا.

يقول النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ }**[1].

فالنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث لم يحدد نوع القوة التي يجب أن يتصف بها المؤمن، ليكون الكلام على إطلاقه، فلا شكَّ أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب للمؤمن أن يكون قويَّ البدن والبنيان، قوي الجنان، قوي العقل، قوي

(١) أخرجه مسلم، ح (٢٦٦٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشخصية. قويًّا في كل شيء.... وهكذا كله بلا شك أنفع للعبد في دينه وفي دنياه.

الرجل المناسب في المكان المناسب:

هذه القوة المذكورة في الآية التي بين أيدينا هي التي نعبِّر عنها في وقتنا الحاضر بمصطلح (الكفاءة). فالعمل إذا أردنا له نجاحًا حقيقيًّا ينبغي أن نختار له الكُفْءَ من الناس. والكُفْءُ: هو من كان ملِمًّا بجميع جوانب العمل المكلف به، والمهمة التي يقوم بها. والرسالة التي يؤديها. وهو المؤهل لذلك العمل عِلميًّا، وفَنيًّا، ومِهنيًّا، وبدنيًّا حَسَبَ ما يقتضيه هذا العمل من مهارات وإمكانات. فليس من الإنصاف ولا المنطقي مثلاً أن أَكِلَ أمرَ الطب إلى رجل مهندس، ولا أولِّي طبيبًا أعمال مشروع هندسيٍّ، ولا أكلف رجلاً بتعليم الناس القراءة والكتابة وهو جاهل بأساليب التعليم، أو ضعيف في القراءة والكتابة... ففاقد الشيء لا يُعطيه.....وهكذا.

إذن فكلمة ﴿ٱلْقَوِيُّ﴾ في الآية تعني الكفاءة بكل ما تحمل الكلمة من معنًى.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب السياسة الشرعية:

« وَالْقُوَّةُ فِي كُلِّ وِلايَةٍ بِحَسَبِهَا؛ فَالْقُوَّةُ فِي إمَارَةِ الْحَرْبِ

تَرْجِعُ إِلَى شَجَاعَةِ الْقَلْبِ، وَإِلَى الخِبْرَةِ بالحُروب، والمُخادَعَةِ فِيهَا، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ، وَإِلَى الْقُدْرَةِ عَلَى أَنْوَاعِ الْقِتَالِ: مِنْ رَمْيٍ وَطَعْنٍ وَضَرْبٍ وَرُكُوبٍ، وكَرٍّ، وفَرٍّ، ونحوِ ذلك »[1].

وقال: « وَالْقُوَّةُ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ تَرْجِعُ إلى العلمِ بالعَدْلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَإِلَى الْقُدْرَةِ عَلَى تَنْفِيذِ الأَحْكَامِ »[2]

✓ الصفة الثانية: الأمانة:

لابد للعامل أن يكون أمينًا، والأمانة صفة عامة يجب توافرها مطلقاً في كل عامل، وكل مسئول، وكل مكلف. فهي صفة ليست خاصة ولا محددة بعمل معين، وإنما يجب توافرها في جميع الأعمال.

الأمانة من صفات أهل الايمان:

والأمانة من صفات أهل الإيمان. كما قال تعالى في وصف عباده المومنين ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المؤمنون). وعاب سبحانه على فريق من أهل الكتاب تضييعهم لهذه الأمانة. فقال تعالَى: ﴿ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، لابن تيمية، ص (١٣).
(٢) المصدر السابق، ص (١٣).

إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾(آل عمران:٧٥).

ولقد كان من أخصِّ صفات النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (الصدق والأمانة)، فكان معروفًا بين قومه بـ **(الصادق الأمين)**، وهذه الأمانة لا تكون إلا فيمن يخاف اللّه تعالَى ويراقبُه.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ. « وَالأَمَانَةُ تَرْجِعُ إِلَى خَشْيَةِ اللَّهِ، وَأَلا يَشْتَرِيَ بِآيَاتِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً، وَتَرْكِ خشية الناس »[1].

كما حذَّر النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الخيانة التي هي نقيض الأمانة فقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **{ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ }**[2].

ماذا لو كان العامل غير أمين؟

والعامل إن لم يكن أمينًا في عمله ضيَّع مكتسبات ذلك العمل ونواتجه وثمرته. والأمانة في العمل تعني الأمانة في كل ما يتعلق به من محافظة على مواعيده، والالتزام بعدد ساعته، والالتزام بشروطه، وحفظ ما تحت يد العامل من أدوات وأجهزة وأموال وخامات.. أي حفظ كل ما يوكَلُ للعامل من مهام ومن معلومات. وأدوات، وأسرار... وغير ذلك.

---

(١) المصدر السابق، ص (١٣).

(٢) أخرجه البخارى، ح (٣٣)، ومسلم، ح (١٠٧)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

كيف يمكن معرفة وجود القوة والأمانة؟

لكن. كيف يمكن معرفة وجود هاتين الصفتين في العامل، وتحققهما فيه؟

لو عدنا إلى أحداث القصة التي وردت الآية بشأنها. نجد أن الفتاة حكمت لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه قوي وأمين بالملاحظة، والاستكشاف، والتجربة العملية.

فإنه لما سألها أبوها عن علمها بذلك، قالت له: إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال، وأنها لما جاءت معه تقدَّمت أمامه، فقال لها: كوني من ورائي. فإذا اختلف عليَّ الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه.

فمن خلال ملاحظة الفتاة لحال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بها حكمت له بالقوة والأمانة، وهذا من فراستها، ودقَّة ملاحظتها.

قال ابن مسعود: «أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلاثَةٌ: أَبُو بَكْرٍ حِينَ تَفَرَّسَ فِي عُمَرَ، وَصَاحِبُ يُوسُفَ حِينَ قَالَ: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ﴾، وَصَاحِبَةُ مُوسَى حِينَ قَالَتْ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾»[1].

(١) تفسير ابن كثير (٢٠٦/٦).

وبهذا الأسلوب وضعت الفتاة أيضًا منهجًا لولاة الأمر فى مجال العمل، وهو أسلوب الرقابة والبحث والمتابعة والملاحظة والتجريب، وذلك عند اختيار العمال وإصدار التكاليف، وتحديد المهام والمسئوليات.

سؤال هام:

ويبقى سؤال هامٌّ، وهو: قد لا تجتمع القوة (الكفاءة) مع الأمانة في كل الناس. وقد تتفاوت النِّسَبُ بينهما من شخص لآخر. فأيهما نقدم أولا؟

هل نقدم القوة على الأمانة؟ أم نقدم الأمانة على القوة؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فَالْوَاجِبُ فِي كُلِّ وِلايَةٍ الأَصْلَحُ بِحَسَبِهَا. فَإِذَا تَعَيَّنَ رَجُلانِ: أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ أَمَانَةً وَالآخَرُ أَعْظَمُ قُوَّةً: قُدِّمَ أَنْفَعُهُمَا لِتِلْكَ الْوِلايَةِ: وَأَقَلُّهُمَا ضرراً فيها: فيقدَّم في إمارة الحروب الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الشُّجَاعُ - وَإِنْ كَانَ فِيهِ فُجُورٌ - عَلَى الرَّجُلِ الضَّعِيفِ الْعَاجِزِ، وَإِنْ كَانَ أَمِينًا»[1].

وقال أيضًا: « وإذا كَانَتْ الْحَاجَةُ فِي الْوِلايَةِ إلَى الأَمَانَةِ أَشَدَّ، قُدِّمَ الأَمِينُ؛ مِثلُ حِفْظِ الأَمْوَالِ وَنَحْوِهَا؛ فَأَمَّا اسْتِخْرَاجُهَا وَحِفْظُهَا، فَلا بُدَّ فِيهِ مِنْ قُوَّةٍ وَأَمَانَةٍ، فَيُوَلَّى عَلَيْهَا شَادٌّ قَوِيٌّ

(١) السياسة الشرعية، ص (١٥).

يَسْتَخْرِجُهَا بِقُوَّتِهِ، وَكَاتِبٌ أَمِينٌ يَحْفَظُهَا بِخِبْرَتِهِ وَأَمَانَتِهِ »[١].

وقال أيضًا: « وَيُقَدَّمُ فِي وِلايَةِ الْقَضَاءِ: الأَعْلَمُ الأَوْرَعُ الأَكْفَأُ؛ فَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا أَعْلَمَ، وَالآخَرُ أَوْرَعَ؛ قُدِّمَ - فِيمَا قَدْ يَظْهَرُ حُكْمُهُ، وَيُخَافُ فِيهِ الْهَوَى- الأَوْرَعُ؛ وَفِيمَا يَدِقُّ حُكْمُهُ، وَيُخَافُ فِيهِ الاشْتِبَاهُ: الأَعْلَمُ »[٢]. وهو بحق كلام نفيس نحن في أمَسِّ الحاجة للعمل به في حياتنا.

وختامًا...

بهذه العبارة الغالية. وبهذه الكلمات المحدودة في تلك الآية الكريمة ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ ترسم تلك الفتاة المؤمنة للبشرية منهج حياة. وقانونًا من قوانين العمل تُعَرِّفُنا فيها: مَن نختارُ لأعمالنا، وكيف نختارُ. وذلك إذا أردنا لأنفسنا ولأمتنا رُقيًّا وتقدُّمًا ونجاحًا.

هذه بعض اللفتات الطيبة في تلك الآية الكريمة.

نسأل الله تعالَى أن ينفعَنا بها، وأن يُلهِمَنا العمل بما فيها.

والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

---

(١) المصدر السابق، ص (١٧).
(٢) المصدر السابق، ص (١٨).